فراغات الاتصال العمرانية المحيطة بالمدخل الشمالي للقاهرة الفاطمية

د. محمود أحمد أحمد عيسى

مدرس بقسم العمارة ، كلية الهندسة بالمطرية ، جامعة حلوان

مقـدمة

فراغات الاتصال العمرانية ليست مجرد مسارات لإنتقال الأشخاص أو المركبات من مكان لآخر خلال النسيج العمراني فقط ، وإنما لها أيضاً دور مؤثر في إظهار مكونات النسيج العمراني ذات القيمة التاريخية أو الإجتماعية أو الوظيفية. عند دراسة تتابع فراغات الاتصال العمرانية حول المناطق التاريخية فان دور هذة الفراغات في إظهار والتأكيد على المباني ذات القيمة التاريخية هو من أهم مؤثراتها على المحتوى العمراني التراثي.

عمران القاهرة الحالي هو نتاج حضارات متعددة تعاقبت على مر الزمن وتعرضت المناطق التاريخية من هذا العمران لكثير من التعديات مما ساهم في إهدار قيمتها التاريخية. في إطار الاتجاه العام نحو الارتقاء بهذه المناطق بهدف إظهار قيمتها الحضارية والتاريخية فإن دراسة فراغات الاتصال العمرانية حولها بهدف توظيفها إيجابيا يسهم إلى حد كبير في الارتقاء بهذه المناطق. قد تستخدم الصور أو الخرائط أو المجسمات المصغرة لإجراء هذه الدراسات والتحليلات. هذا البحث يعرض إمكانية توظيف تطبيقات الحاسب الآلي من خلال التمثيل المرئي ثلاثي الأبعاد للمساعدة في دراسة وتقييم تأثير فراغات الاتصال العمرانية المحيطة بمناطق القاهرة التاريخية. ويتناول البحث منطقة مدخل القاهرة الفاطمية الشمالي لما لها من قيمة تاريخية مثالاً لتطبيق منهج مقترح لتحليل تتابع فراغات الاتصال العمرانية وتأثيرها في إظهار التراث الحضاري للعمارة التاريخية والذي يمكن إتباعه أيضا لدراسة فراغات الاتصال العمرانية في آي منطقة تضم مباني ذات قيمة تاريخية.

خصائص فراغات عمـران القاهـرة الفاطمية

عند دراسة الفراغات العمرانية المحيطة بالمناطق التاريخية من المفيد أن نستعرض النسيج العمراني الأصلي لها للتعرف على أهم السمات والخصائص التشكيلية للمحتوى العمراني من فراغات ومباني منذ بداية إنشاء هذه المناطق. وذلك بهدف الاستفادة منها في كيفية تطوير العمران القائم دون الإخلال بالقيم التشكيلية الأصلية لعمران المنطقة. شكل(1) يوضح النسيج العمراني للقاهرة الفاطمية حيث نلاحظ أن القصبة الرئيسية (شارع المعز لدين الله) تمثل نموذجاً لتتابع الفراغات التي يتصل بعضها البعض اتصال واضح وذات إيقاع للتغير في المساحة تبعاً لاستخدامها وكذلك التباين واختلاف المناظر التي يراها المار خلالها حيث لا يشعر بالملل.

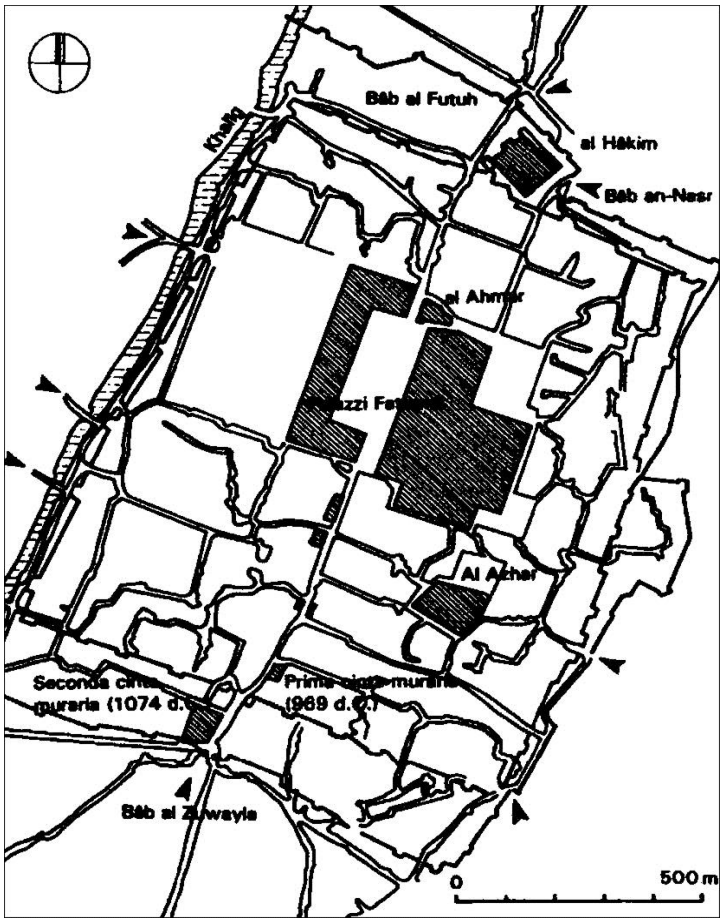

شكل (1): النسيج العمراني للقاهرة الفاطمية في بداية العصر الأيوبي.[6]

تطور عمران منطقة الدراسة

يرجع إنشاء منطقة المدخل الشمالي للقاهرة الفاطمية إلى عام 1087م حيث أدى امتداد العمران خارج سور القاهرة الفاطمية الأصلي إلى إنشاء سور آخر ليحتوى العمران الممتد بما فيه جامع الحاكم الذي أمر الخليفة العزيز بالله بتأسيسه عام 990م ثم أكمله ابنه الخليفة الحاكم بأمر الله فنسب إليه الجامع. ويضم السور في هذه المنطقة باب الفتوح وباب النصر حيث اتصال القاهرة الفاطمية بالطرق المؤدية إلى الوجه البحري للبلاد.

يستعرض شكل (2) تطور المحتوى العمراني للمنطقة والتغيرات الجوهرية منذ إنشائه وحتى الوقت الحاضر. من هذا الاستعراض يمكن استخلاص أهم خصائص فراغات الاتصال العمرانية للمنطقة حيث نلاحظ أن التشكيل العمراني كان يعكس وظائف مكوناته من فراغات ومباني دون الارتباط باعتبارات تشكيلية معينة. لذلك ظهر النسيج العمراني في صورة تلقائية واضحة التكوين ليس فيها تكلف أو تصنع. النمو العشوائي غير المنظم الذي أدى بعمران المنطقة إلى صورته الحالية نتج عنه فقدان فراغات الاتصال العمرانية بالمنطقة لأهم السمات والخصائص التشكيلية التي كانت تميزها والتي يمكن إيجازها على النحو التالي:-

- التوجيه Orientation للتأكيد على مداخل ومخارج الفراغات الرئيسية المتمثلة في باب الفتوح في نهاية القصبة الرئيسية المدينة وأيضاً باب النصر. كذلك التأكيد على جامع الحاكم كعنصر مركزي كبير الحجم والقيمة بالمنطقة.

- التكوين التتابعى في النهاية الشمالية لقصبة المدينة كفراغ اتصال عمراني رئيسي حيث نجد التدرج الهرمي Hierarchy من أقصى أتساع عند باب الفتوح حيث مدخل الجامع أيضاً والتدرج في تقليل الاتساع كلما اتجهنا نحو داخل المدينة وأثر ذلك في تجنب الإحساس بالملل للمار خلال هذا الفراغ. ذلك بالإضافة إلى إيجاد إيقاع للتغير في مساحة الفراغات المتتابعة.
- تناسب مساحة الفراغات بالنسبة لمقاييس العناصر المعمارية المحددة لها وكذلك بالنسبة إلى طبيعة استعمالها وسرعة الحركة خلالها. فنجد أتساع الفراغات حول جامع الحاكم لاستيعاب تجمع السكان خاصة في المناسبات الدينية أو الاجتماعية. كذلك استيعاب حجم الحركة عبر باب الفتوح وباب النصر إلى خارج المدينة.

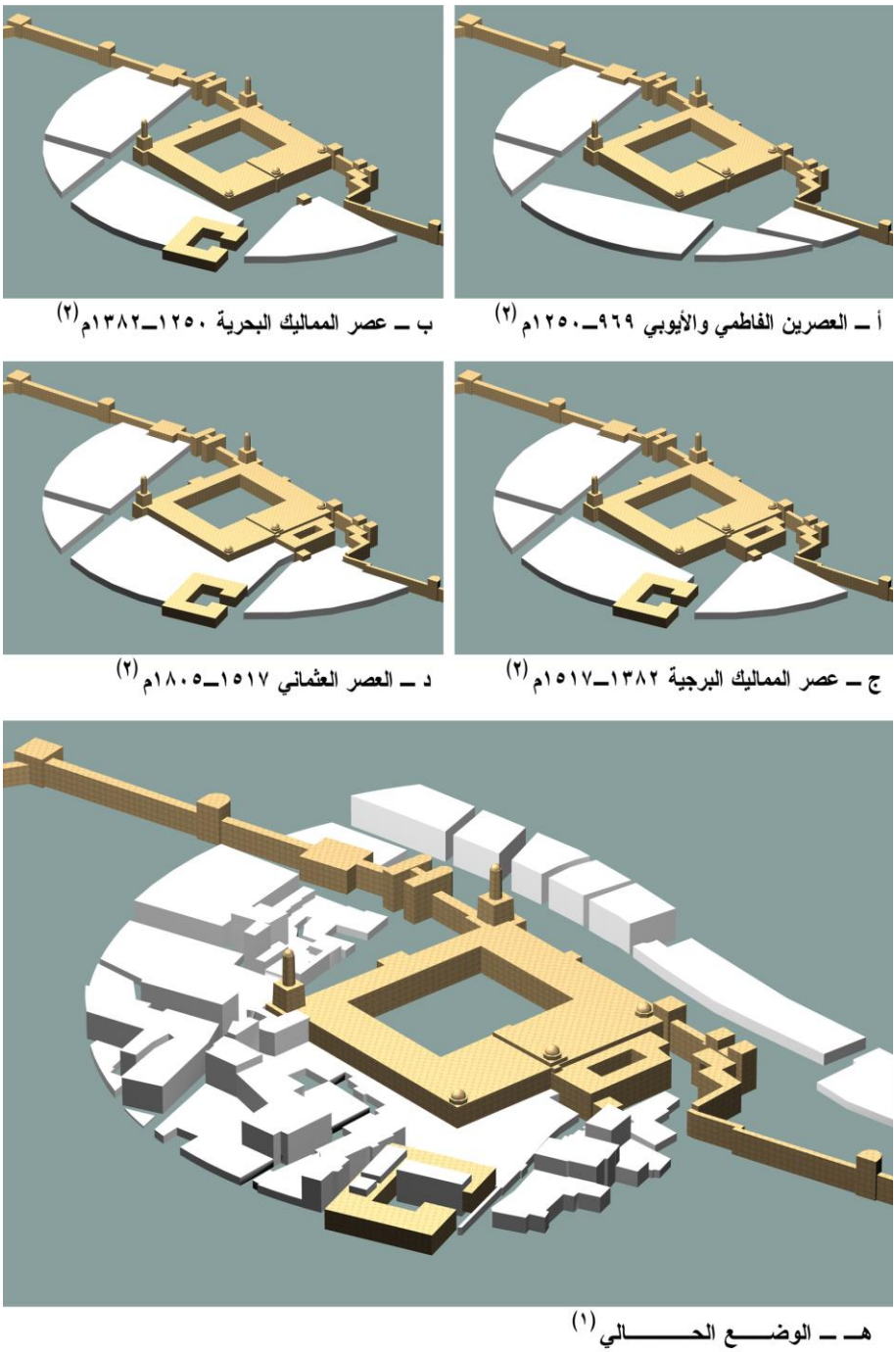

شكل (2): تطـور المحتوى العمـراني لمنطقة مدخل القاهرة الفاطمية الشمالي.

الحالة الراهنة للمنطقة

النمو العمراني العشوائي غير المخطط بالمنطقة وحولها خاصة في العصر الحديث بالإضافة إلى التعديات على المباني التاريخية وإهمال صيانتها، أدى إلى إهدار القيمة الحضارية والتاريخية لمباني المنطقة. على ذلك اصبح من الضروري الارتقاء بعمران المنطقة تشكيلياً ووظيفياً بهدف المحافظة على محتواها العمراني التاريخي شأنها في ذلك شأن معظم المناطق التاريخية بالقاهرة. التعرف على الحالة الراهنة لآي منطقة عمرانية تعتبر أول مراحل دراسة الارتقاء بها عمرانياً بهدف إعداد الدراسات والخطط المناسبة للارتقاء مع مراعاة الوضع القائم. على ذلك فإنه قبل دراسة فراغات الاتصال العمرانية حول منطقة الدراسة الحالية يجب التعرف على خصائص العمران القائم في الوقت الراهن.

في دراسة لمنظمة العواصم والمدن الإسلامية لمنطقة جامع الحاكم وجد ن:- [1]

- حالات المباني بالمنطقة معظمها رديئة حيث تمثل نسبة المباني الرديئة حوالي 52.3%.
- الاستعمالات التجارية والحرفية هي السائدة في المنطقة بينما لا يمثل الاستعمال السكنى سوى حوالي 12.4%.
- المباني التي تتراوح ارتفاعاتها من دور إلى دورين هي السائدة بالمنطقة حيث تمثل54%.
- نسبة المباني المخدومة بشبكات المياه والصرف الصحي حوالي 7.9 %.

طبقا لهذه المؤشرات نجد أن المنطقة تعانى من تدهور عمراني. كذلك حالة المنطقة شمال سور القاهرة الفاطمية لا تختلف كثيرا عن المنطقة داخل السور. على ذلك فان تطوير المحتوى العمراني للمنطقة من فراغات ومباني أصبح ملحاً بهدف الحفاظ على التراث الحضاري المعماري للمنطقة مع إمكانية الحفاظ على الاستعمالات القائمة بمعدلاتها الحالية في إطار تشكيل عمراني منظم. بالإضافة إلى ذلك فإن محور شارع جلال وشارع البغالة شمال سور القاهرة الفاطمية يمكن تطويره ليمثل فراغ اتصال عمراني يسهم في إظهار القيمة الحضارية والتاريخية لمباني هذه المنطقة.

هذا المحور يمكن توظيفه مرورياً في تسهيل اتصال وسط القاهرة وطريق صلاح سالم ثم الطريق الدائري للقاهرة الكبرى. ذلك بهدف تخفيف ضغط المرور العابر خلال شارع الأزهر وتجنب الحاجة إلى إضافة إنشاءات مثل الأنفاق أو الكباري لتسهيل المرور خلاله والتي قد تؤثر سلبيا على المباني ذات القيمة التاريخية بمنطقة جامع الأزهر بصرياً وإنشائيا.

منهج تحليل الفراغات

التطور الكبير والمتاح في الوقت الحاضر لاستخدام إمكانيات الـ Computer Graphics يمكن توظيفه من خلال التمثيل المرئي ثلاثي الأبعاد Visual Simulation للمساعدة في تحليل التشكيل العمراني من مباني وفراغات محيطة. يمكن تحديد المباني ذات القيمة والتي يجب الحفاظ عليها وأيضاً المباني التي يمكن تطويرها أو إزالتها تبعاً لحالاتها. كذلك يمكن إضافة عدد من البدائل التصميمية المقترحة وتحليلها تشكيلياً ومقارنتها بالتشكيل القائم أو ببدائل أخرى. كما يمكن مشاركة العديد من ذوى الخبرات العلمية المرتبطة بالتشكيل العمراني وأيضا الجهات الإدارية المختصة وحتى قاطني هذا العمران يمكنهم المساهمة بشكل ما لاختيار أنسب البدائل. الدراسة الحالية تعرض نموذجا لتطبيق هذا الأسلوب من منظور تأثير تتابع فراغات الاتصال العمرانية على إظهار المباني ذات القيمة التاريخية لمنطقة مختارة من مناطق القاهرة التاريخية كمثال يمكن تطبيقه على مناطق أخرى وأيضا في شتى مجالات الارتقاء بالتشكيل العمراني القائم. ويمكن عرض خطوات هذا الأسلوب على النحو التالي:-

- إنشاء نموذج ثلاثي الأبعاد باستخدام بعض برامج الحاسب الآلي للمنطقة المختارة يضم المباني ذات القيمة التاريخية. ثم إضافة أحد البدائل المقترحة لتطوير التشكيل العمراني من مباني وفراغات محيطة والذي يراعى فيه خصائص الوضع الراهن لعمران المنطقة السابق الإشارة إليه من حيث حالات المباني وارتفاعاتها واستعمالاتها. والذي يهدف إلى إظهار التباين بين العمارة التاريخية بتشكيلاتها والعمارة المستحدثة بتشكيلاتها مع إيجاد نوع من التجانس.
- تسجيل عدد من الصور من نقاط ثابتة ومتتابعة من الفراغات العمرانية تمثل الصورة المرئية للمحتوى العمراني من خلال الفراغات الحالية.
- تسجيل عدد من الصور من النموذج ثلاثي الأبعاد المعد شاملاً التطوير المقترح لتطوير عمران المنطقة ومن نقاط تماثل نفس النقاط الثابتة والمتتابعة للصور المسجلة للعمران القائم ولكن تعرض الصورة المرئية للمحتوى العمراني في صورته المقترحة مع إمكانية تعدد المقترحات.
- مقارنة وتحليل الصور المرئية للعمران القائم ومثيلاتها من نموذج التطوير المقترح للتشكيل العمراني. ذلك مع مراعاة جميع الاعتبارات التصميمية والتشكيلية وأيضاً الاعتبارات البيئية وخصائص العمران القائم.

فيما يلي تحليل مقارن لبعض الصور المسجلة من العمران القائم لمنطقة المدخل الشمالي للقاهرة الفاطمية ومثيلاتها المسجلة من نموذج ثلاثي الأبعاد مبسط لمباني المنطقة ذات القيمة التاريخية شاملاً نموذج مقترح لتطوير التشكيل العمراني وفراغات الاتصال العمرانية المحيطة خاصة المحور المقترح شمال المنطقة. هذا ويمكن مقارنة وتحليل العديد من الصور المرئية من مختلف الاتجاهات المحيطة بالمنطقة وكذلك مختلف وجهات النظر التصميمية والعمرانية والإنشائية والإدارية والاجتماعية .

- شكل(3) وشكل(4) يعرضان تحليلاً مقارن لتتابع للصورة المرئية للعمران القائم ونموذج تشكيل عمراني مقترح للاتجاه القادم من شارع الجيش متجه شرقاً. نلاحظ في صورة العمران القائم إخفاء المباني التاريخية خلف عمران عشوائي في حالة سيئة إنشائياً وتشكيلياً يستوجب تطويره بإزالة معظمه حيث يمكن استبداله بمحتوى عمراني منظم يمكن أن يستوعب نفس الاستعمالات الحالية وبنفس معدلاتها المختلفة. يسهم ذلك التطوير في إبراز القيمة الحضارية للمباني التاريخية بالمنطقة من خلال فصل المباني التاريخية لإحداث تباين بين تشكيلاتها وموادها الطبيعية والعمارة المستحدثة بتشكيلاتها وموادها المصنعة وذلك في إطار يحقق التجانس التشكيلي.
- شكل(5) وشكل(6) يعرضان تحليلاً مقارن لتتابع للصورة المرئية للعمران القائم ونموذج تشكيل عمراني مقترح للاتجاه القادم من طريق صلاح سالم وشارع المنصورية متجه غرباً. نلاحظ أن الصورة المرئية للمباني التاريخية من هذا الاتجاه لا تختفي خلف عمران مستحدث وإنما يشوه الصورة المرئية للمحتوى العمراني التاريخي العديد من الاشغالات والتعديات. برفع هذه الاشغالات وإعادة تنسيق الموقع بالإضافة إلى تطوير التشكيل العمراني للمنطقة المواجهة لسور القاهرة الفاطمية يسهم في إيجاد التباين الذي يبرز المباني التاريخية للمنطقة في الصورة اللائقة بقيمتها الحضارية والتاريخية.

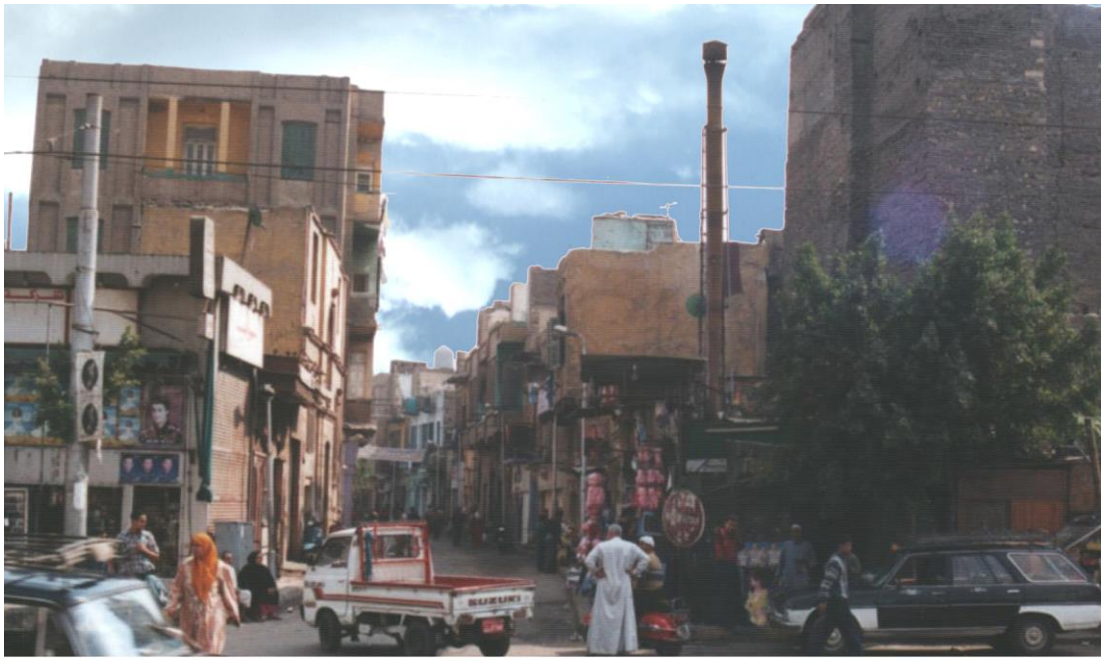

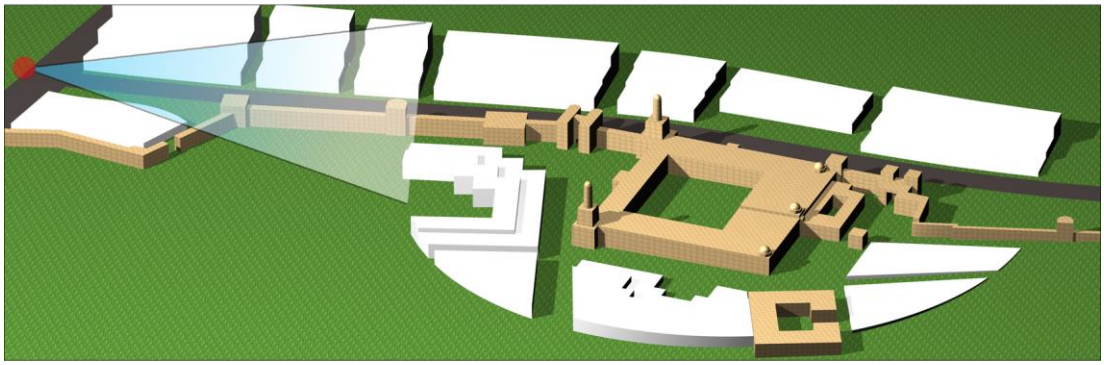

شكل(3): مقارنة الصورة المرئية الأولى من شارع الجيش متجه شرقاً.

شكل(4): مقارنة الصورة المرئية الثانية للمار بشارع البغالة متجه شرقاً.

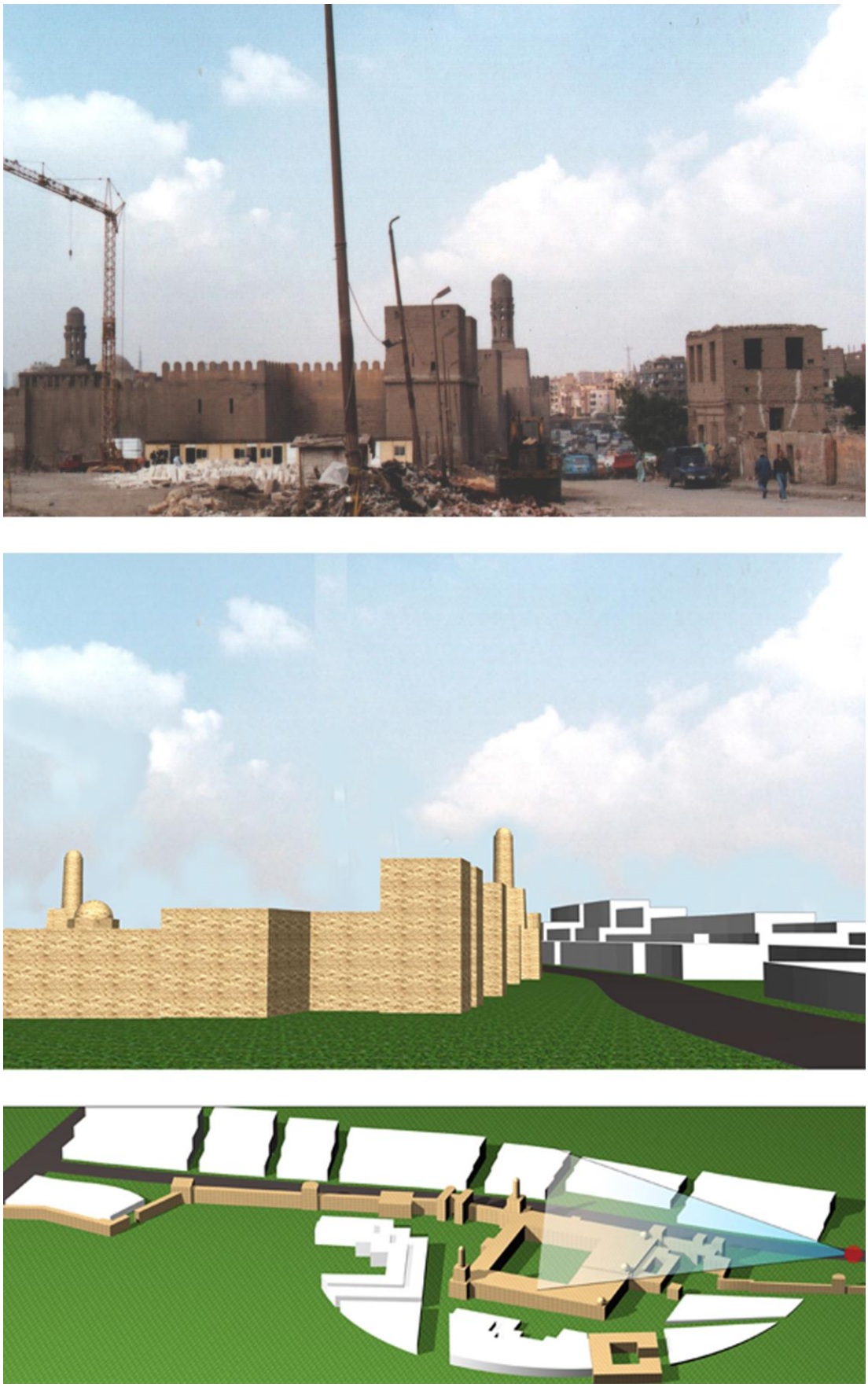

شكل(5): مقارنة الصورة المرئية الثالثة للقادم من طريق صلاح سالم متجه غرباً.

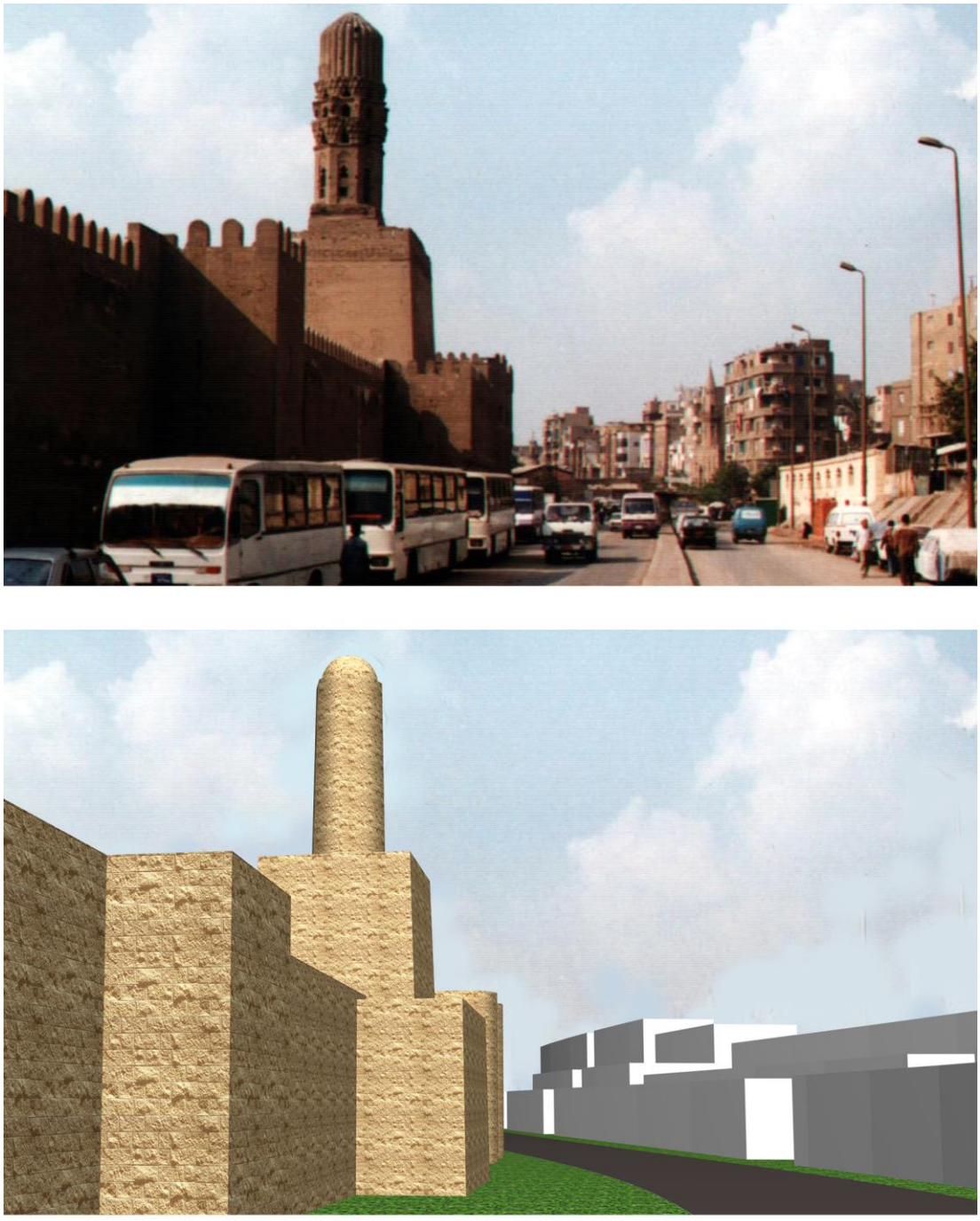

شكل(6): مقارنة الصورة المرئية الرابعة للمار بشارع جلال متجه غرباً.

الخلاصـــة

النمو العمراني العشوائي غير المنظم بالمناطق التاريخية وحولها في القاهرة أدى إلى إهدار قيمتها التاريخية خاصة في المناطق المزدحمة مثل القاهرة الفاطمية. أدى ذلك إلى تردد معظم السياح الأجانب وحتى المصريين في زيارة هذه المناطق والاتجاه إلى مناطق الآثار الفرعونية التي تحظى بقدر من اهتمام الدولة أكبر من اهتمامها بمناطق القاهرة الإسلامية. في إطار الاهتمام المتزايد في الآونة الأخيرة بالارتقاء العمراني للقاهرة الإسلامية، فإنه يمكن توظيف التطور الكبير في تطبيقات الحاسب الآلي من خلال التمثيل المرئي ثلاثي الأبعاد للمساعدة في دراسة وتحليل التأثير البصري لفراغات الاتصال العمرانية المحيطة بمناطق القاهرة التاريخية. حيث يسهم ذلك في إظهار التراث الحضاري للعمارة التاريخية وذلك بمراعاة بعض الإجراءات التي يمكن تلخيصها على النحو التالي:-

- إظهار التباين بين العمارة التاريخية بتشكيلاتها وموادها الطبيعية والعمارة المستحدثة بتشكيلاتها وموادها المصنعة.
- فصل المبنى التاريخي مع إيجاد نوع من التجانس التشكيلي بين القديم والمستحدث.
- محاولة تخطيط وتصميم المباني المحيطة بالمناطق التاريخية على أسس القيم التخطيطية للعمارة القديمة وتشيدها بما يتطلبه العصر من تقدم تكنولوجي واجتماعي.
- تحديد القوانين التنظيمية التي تضمن ربط العمران المستحدث بالتراث الحضاري والمعماري سواء بالنسبة للتشكيل الخارجي واللون والارتفاعات وكذلك فصل حركة المشاة عن حركة المرور الآلي وقصرها في أضيق الحدود.

المـراجع

1. منظمة العواصم والمدن الإسلامية، أسس التصميم المعماري والتخطيط الحضري في العصور الإسلامية المختلفة، دراسة تحليلية على العاصمة القاهرة، القاهرة، 1990.
2. Al Sayyad Nezar, Streets Of Islamic Cairo A Configuration Of Urban Themes And Patterns, Aga Khan Program/MIT, 1981.
3. Broadbent Geoffrey, Emerging Concepts In Urban Space Design, Vnr, New York, 1990.
4. Burden Ernest, Design Simulation Use Of Photographic And Electronic Media In Design And Presentation, Metchell-London, 1988.
5. Hakim Besim, Arabic-Islamic Cities, Building And Planning Principles, KPI, London, 1986.
6. La Greca Paolo, Il Cairo Una Metropoli In Transizione, Officina Edizioni, Via Nicola Ricciotti, Roma, 1996.
7. Mccluskey Jim, Road Form And Townscape, Apl, London, 1979.
8. Sanoff Henry, Visual Research Methods In Design, Vnr, New York, 1991.
9. Trancik Roger, Finding Lost Space, Theories Of Urban Design, Vnr, New York, 1986.
10. Unesco, The Conservation Of The Old City Of Cairo, The Expanding Metropolis Coping With The Urban Growth Of Cairo, The Aga Khan Award For Architecture, Cairo, 1984.

AWARD
Arab Towns Organization
DOHA - QATAR

بسم الله الرحمن الرحيم

جائزة
منظمة المدن العربية
الدوحة - قطر

No. ..... الرقم : .....

Date ..... التاريخ : .....

إلى من يهمه الأمر

تفيد جائزة منظمة المدن العربية بأن السيد الدكتور / محمود أحمد عيسى قد شارك في فعاليات ندوة التراث المعماري الإسلامي في الألفية الثالثة في الفترة من ١٨ - ٣٠ مارس ٢٠٠١م بمدينة الدوحة – دولة قطر ، وذلك بإلقاء بحث بعنوان " فراغات الاتصال العمرانية المحيطة بالمدخل الشمالي للقاهرة الفاطمية ".

والله الموفق،،،

م. فهد عبد الله السويلم
مدير عام الجائزة

Tel. : 4328790/ 4427331 - Fax : 4433188
P. O. Box : 09905
E-mail : atoaward@qatar.net.qa
تليفون : ٤٣٢٨٧٩٠/ ٤٤٢٧٣٣١ ـ فاكس : ٤٤٣٣١٨٨
ص . ب : ٠٩٩٠٥